هذه هي صفات الشيطان الخلقية والمعنوية ولقد اوضحت هذه الصفات فقط؛ لانها صفات ذاتية للشيطان قائمة بذاته، لازمة له، تكون حاله وتمزجها بعوارضها.
اما ما سنذكر فيما بعد من وسوسة وإغواء ووعد كاذب فليست بصفاته، بل هي أدواته في دخول قلب الإنسان وسنذكرها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع

الحكمة من خلق الجن

إن لله تبارك وتعالى الإرادة المطلقة والحكمة البالغة في ما يقول وما يفعل، وما يأمر به وينهى.
ذلك أن إرادته حكيمة وقدرته شاملة لكل الموجودات والمعدومات، واما خلقه لمخلوقات غائبة عن رؤيتنا، ترانا ولا نراها، فكل ما يفعل الرب الكريم لرحمةٍ عمت الكون أرادها الباري عز وجل، كل حسب المكان والزمان ومن أسرار خلقه للشيطان ما يلي:

أولاً: إظهار قدرة الله في خلق المتضادات:

(تظهر قدرة الرب في خلق المتضادات المتقابلات فخلق هذه الذوات التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شرٍّ في مقابلة ذات جبريل ﷺ التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك الله خالق كل شئ، كما ظهرت لهم قدرته في خلق الليل والنهار، والضياء والظلام، والداء والدواء، والحياة والموت، والحر والبرد، والحسن والقبيح، والأرض والسماء، والذكر والأنثى، والماء والنار، والخير والشر. فان ذلك

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ب.ت/19: 54.

من أول الدلائل على كمال قدرته وعزته وسلطانه وملكه، فانه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسلط بعضها على بعض وجعلها مجال تصرفه وتدبيره وحكم)[1].

ثانيا: ابتلاء العباد واختيارهم.

ومن الحكم البالغة في خلق إبليس والشياطين أن الله سبحانه وتعالى جعلهم سببا في ابتلاء العباد واختبارهم، فامتحن الله جل في علاه خلقَه ليبين الخبيث من الطيب، وذلك أن الله سبحانه خلق بني البشر من الأرض فخرج منهم السهل والحزن والطيب والخبيث، كما في قوله ﷺ: (إن الله تعالى خلق ادم مـن قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء منها الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب)[2].

ذلك أن دخول الجنة ليس بالأمر الهين، فكان الأمر الأول أن يدخل المؤمن المعركة مع الشيطان الذي بدوره يزين له الدنيا ويكشف مغرياتها ويرغبه بالمعاصي والآثام والذنوب ويهون عليه فعل كل هذا بأنه أمر سهل ولم يقع منك عن قصد حتى يقع الإنسان في شباك الشيطان، وأما المؤمن الصادق مع ربه فيظهر معدنه، وينور قلبه برضى الرب العظيم.

ومع كون الشيطان لعنه الله سبباً في بلاء المؤمنين ومعرفة حقائقهم الا ان الله تعالى قد حذرنا منه في مواقف عديدة في القرآن العظيم.

قال تعالى: **چ ڀ ـ ـ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ﯕ ﯕ ﯖ ﯖ ﯗ ﯗ ﯘ ﯘ ﯙ ﯙ ﯚ ﯚ ﯛ ﯛ ﯜ ﯜ ﯝ ﯝ ﯞ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □**چ[3].

وقال تعالى: **چ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ چ**چ[4].

ولكن من سولت له نفسه في ارتكاب المنهيات والمعاصي واطاع الشيطان ينسى قول ربه تبارك وتعالى فكان مع الشيطان في النار وبئس المهاد، والمؤمنون ازدادوا إيماناً فنجحوا في البلاء.

ثالثا: جعله الله عبرة لمن اعتبر:

إن الله تبارك وتعالى جعله عبرة للمغترين، فان مصير من يعصي الله جل جلاله وتكبر على طاعته، ويصر على ارتكاب المنهيات والمعاصي ولا يتوب، مصيره كإبليس اللعين حيث قال رب العزة: **چ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ** چ[5].

(وهذا قسم من الله تعالى، حيث أقسم سبحانه وتعالى بأنَّ من يتبع إبليس من بني ادم

---

(1) مدارج السالكين في منازل اياك نعبد واياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العربي، بيروت، ط2، 1393هـ/2: 194.

(2)سنن الترمذي، الإمام الترمذي/5: 204 برقم 2955.

(3) سورة البقرة، الآيتان (169-168).

(4)سورة فاطر، الآية (6).

(5)سورة الأعراف، الآية (18).

ويطيعه فإنَّ جزاءه جهنم وأنه سيملأ جهنم من كفرة بني آدم أتباع إبليس وذريته)[1].

مع أن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن التائبين كما تقبلها من آدم أبي البشر الذي عاش مع إبليس قصة بداية العداء بين الشيطان والإنسان. ففي أبينا آدم 0ڠ عبرة للتائبين وفي إبليس اللعين أبي الشياطين عبرة للمصرين على الذنوب.

رابعا: في خلق إبليس قيام سوق العبودية:

(إن المحبة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية الى الله سبحانه، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل من سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية، وأجرها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصى حكمها وفوائدها، وصاحبها من المصالح إلا الله)[2].

خامسا: تكميل مراتب العبودية:

حيث إن الله تبارك وتعالى(يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله، وإغاضته إغاضة أوليائه، والاستعاذة به منه واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب على ذلك من المصالح الدنيوية والاخروية مالم يحصل بدونه والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه)[3].

سادسا: خوف العباد من الذنوب:

أي خوف البشر والملائكة والجن الصالحون من الوقوع في دائرة الذنب الكبير قال ابن القيم: (وتأهل في حالة إبليس لما كانت المادة المهلكة كامنة في نفسه لم ينتفع منها ممن سلف من طاعته ومن الى شاكلته وما هو اولى به، وكذلك الذي اتاه الله اياته فاسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين وأضرابه وأشكاله فالمعول على السرائر والمقاصد والثبات والهمم فهي الاكبرالتي تقلب كاس الاعمال ذهبا او يردها خبث)[4].

وهكذا يبقى العباد في حالة الخوف والخشية من الرب الجليل، فلو كان العلم وحده يفيد لنفع ابليس الذي سقط في هاوية المعاصي مما سبب للخلق دوام الخوف من الله تعالى (فعن

---

(1) جامع البيان، الطبري/8: 103، ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الامام عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت 1376هـ) تحقيق: مجدي فتحي السيد، ومصطفى شتات، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت)/282.

(2) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي ابو عبد الله، تحقيق: محمد بدر الدين ابو فراس النعساني الحلبي، بيروت، (1398هـ)/237.

(3) المصدر نفسه/236.

(4) زاد المعاد قي هدى غير العباد، ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي ابو عبد الله، تحقيق شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الاسلامية، الكويت، ط14، 1403هـ/3: 372.

عبد الله بن مبارك قال: بلغني ان رسول الله ﷺ قال: (المؤمن عبد بين مخافتين، من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه، ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من الهلكات)[1].

سابعاً: إظهار حلم وصبر الله تعالى على العباد:

حيث إن الله جل جلاله يخلق الشيطان فيُظهر لعباده مدى حلمه ومدى صبره ومن عطائه سبحانه(معافاته وابتلائه ورحمته وإحسانه وستره وعفوه، وحلمه وصبره على عبده وإجابته لدعائه وكشف كربه وإغاثة لهفته وتفريج كربه من غير حاجة منه اليه، بل مع غناه التام منه من جميع الوجود، كل ذلك داع القلوب التي تألهه ومحبته بل تمكينه عبده من معصيته وإعانته عليه وستره حتى يقضي وطره منها)[2].

وفي الحديث (ما احد اصبر على أذى سمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيه ويرزقهم)[3].

وعن أبي هريرة ڤ قال: قال رسول اللهﷺ (قال الله تعالى: كذبني ابن ادم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فاما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، واما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أُولد، ولم يكن لي كفواً أحد)[4].

فان الله تبارك وتعالى ذو حكمة بالغة في خلق ابليس والشياطين الذين يوسوسون للناس بارتكاب المعاصي ومع ذلك فانه تعالى حليم صبور على الناس مما يجعل ابليس في صبره من امر يتخبط لشره في كل مكان والله هو الولي الحميد.

ثامنا: خلق الله خلقه بحيث يظهر فيهم أحكام أسمائه وصفاته وآثارها:

فالله سبحانه وتعالى (لكمال محبته لأسمائه وصفاته اقتضى حمده، وحكمته ان يخلق يظهر فيهم أحكامها وآثارها، فلمحبته، للعفو خلق من يحسن العفو عنه، ولمحبته للمغفرة خلق من يغفر له، ويحلم عنه، ويصبر عليه، ولا يعاجله، بل يكون امانه وامهاله، فتبارك الله رب

---

(1) حلية الأولياء، الشيخ ابو نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ/2: 158، ينظر شعب الايمان، الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السيد بسيوني زغلول، ط 6، دار الكتب العلمية بيروت، 1410هـ/7: 360، برقم 861.

(2) الجواب الكافي في من سئل عن الدواء الشافي، محمد بن ابي بكر ابو زرعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت/1: 165.

(3) صحيح البخاري، الإمام البخاري/6: 2687، برقم 6943، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ هو الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ.

(4) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، بن احمد ابو حاتم التميمي، (ت 354هـ)، تحقيق: شعيب مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ، ط3/3: 128 برقم 848، ذكر الأمر للمرء المسلم أن يحمد الله جل وعلا على ما هداه للإسلام إذا رأى غير الإسلام أو قبره.ينظر: صحيفة، همام بن منبه الصنعاني، (ت 132هـ)، تحقيق: علي حسن علي، دار عمان، عمان، ط1، 1/147: 56 برقم 106.

العالمين، واحكم الحاكمين، ذو الحكمة البالغة، والنعم السابغة الذي وصلت حكمته الى حيث وصلت قدرته، وله في كل شيء حكمة باهرة، كما ان له فيه قدرة قاهرة وهدايات)[1]

تاسعا: إظهار حكمة الله تبارك وتعالى:

فانه سبحانه وتعالى هو(الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فلا يضع الحرمات ولا الثواب موضع العقاب ولا العقاب موضع الثواب، ولا الخفظ موضع الرفع، ولا الرفع موضع الخفض، ولا العز مكان الذل، ولا الذل مكان العز، فهو اعلم حيث يجعل رسالته واعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه ووصولها)[2].

فهل تتم الحكمة الإلهية إلا بخلق هذه المتضادات بكمال منع الصنع والتدبير، فان وجود إبليس والشياطين في عالم البشر من تمام الحكمة، مثلما انه من كمال القدرة الإلهية الكاملة.

(1) شفاء العليل، ابن القيم الجوزية/239.
(2) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية/2: 195.